

أفعال الكلام في الوعي الفلسفي اللغوي الغربي

الدكتورة: هنية جوادي

قسم الآداب و اللغة العربية

كلية الآداب واللغات

جامعة بسكرة - (الجزائر)

ملخص:

تمثل نظرية أفعال الكلام عصب الدرس التداولي المعاصر ونواته الأساس، فهي نظرية ذات نزوع وظيفي تداولي، تهتم بمختلف أشكال التفاعل القولي، وعلى الرغم من تنوع تعريفاتها وتباينها و اختلاف المرجعيات المعرفية التي ينطلق منها الباحثون، فإن المتفق عليه أن الموقف التداولي يقتضي أن التلفظ هو الفعل، والمتكلم عندما يتلفظ لا ينشئ كلمات وألفاظا فحسب، إنما ينجز من خلال هذه الألفاظ أفعالا تضاهي الحدث الحقيقي، وإن كان هذا الإنجاز يحتكم إلى ضوابط وتوجهه مقاصد محددة..

Abstract:

The speech acts the oryre presents the corner stone of modern pragmaticstudy, ithas functional and pragmatic, tendencies concerning the different forms of verbal interaction. Althoug hits distinctive, various definitions and the several scientific refrences that researchers use all agree that pragmatic attitude isconsidering the pronunciation of words as an act and the speaker dosen't articulate words only but heis doing acts through words emulating the events in reality this achievement is controlled and directed by regulations.

مقدمة:

يتناول هذا المقال موضوع "أفعال الكلام" في ظل جهود المنظرين الغربيين الأوائل، في مقدمتهم الرائد والمؤسس الأول "جون أوستين" وتلميذه "جون سيرل" اللذان تعد إنجازاتهما مهمة وفعالة، إذ إنها أرست دعائم نظرية أفعال الكلام (Les Actes de parole) التي ترى أن الكلام، أو استعمال اللغة هو إنجاز لفعل تحكمه ضوابط وقواعد، وتوجهه مقاصد وأهداف، فكل تلفظ ما هو إلا إنجاز لفعل يقوم به المتكلم، ومن ثم تولي هذه النظرية الوظيفية التداولية اهتماما خاصا بالأقوال اللغوية، وبالظروف التي توأكب إنشاءها، وتؤدي إلى إنجازها..

لقد فتحت إسهامات هذين الرائدتين (أوستين وسيرل) المجال واسعا أمام باحثين آخرين لإثراء هذه النظرية ورفدها بمفاهيم وتصورات جديدة، كمفهوم الاستلزام الحواري لدى (غريس)، والافتراضات المسبقة والملفوظ الحجاجي لدى (لدي كرو)، والسياق والتأويل (أو الفعل والتأويل) عند (فان ديك)...

ومما سبق، نحاول في هذه الدراسة استقراء الجهود النظرية اللغوية والفلسفية الأوروبية التي أسست لهذه النظرية وقدمت في إطارها تصنيفات عديدة جديدة بالدراسة والاهتمام، كان لها دور مهم في تحليل مختلف الخطابات، وبخاصة الأدبية منها والوصول إلى مكوناتها وخصائصها، وستكون نقطة الانطلاق في هذا البحث من سؤال تأسيسي مفاده: ما الفعل الكلامي؟ وما أهم المراحل التي مرت بها نظرية الأفعال الكلامية؟ وما هي آفاقها المستقبلية، على اعتبار أنها تعنى بجميع أشكال القول دون تمييز بين شكل وآخر؟

1- في مفهوم الفعل الكلامي:

ينصرف معنى لفظة "فعل" في معاجم العربية إلى الأداء والإنجاز والإحداث، فهو كل حدث حاصل بواسطة الكائن الإنساني، والفعل بهذا المفهوم يكون ذا بعد تداولي، أو يحمل قيمة تداولية هامة، هي أن تسميته قائمة على الاستعمال والتداول وما يدل عليه، وهي من المجالات المفهومية للتداولية⁽¹⁾

و الفعل الكلامي، ويسمى أيضا الفعل اللغوي والعمل اللغوي، الفعل الخطابي هو الترجمة التي ارتضاها كثير من الباحثين والمترجمين العرب للمصطلح الإنجليزي (Speech act).

نشأت ظاهرة أفعال الكلام في الفكر الغربي المعاصر في رحاب الفلسفة التحليلية التي ظهرت على يد الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجة (Cottlob Frege)، واعتبرت ردة فعل قوية على الفكر الفلسفي القديم برمته (2) وقد اقتفى الفيلسوف النمساوي لودفيغ فيتغنشتاين (L.Wittgenstein) أثر فريجة بتأسيسه تيار " فلسفة اللغة العادية (Philosophie du Langage Ord in aire) الذي نشأت بين أحضانه ظاهرة الأفعال الكلامية (3)

إن "أهم ما يميز فلسفة فيتغنشتاين التحليلية بحثه في المعنى، وذهابه إلى أن المعنى ليس ثابتا ولا محددًا ودعوته إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم " (4) فاللغة لا يمكن أن تكون حسابا منطقيًا والكلمة والجملة، تكتسب معناها من خلال استخداماتها، فالمعنى كما يرى (فيتغنشتاين) هو الاستعمال (Meaning is use) (5)

إضافة لهذين الفيلسوفين آمن كثير من الباحثين وفي مقدمتهم "هوسرل" (Husserl) و"كارناب" Cornap بأن فهم الإنسان لذاته ولعالمه، يرتكز في الأساس على اللغة، ومن هنا فقددعوا إلى ضرورة اتخاذها موضوعا للدراسة في أي مشروع فلسفي، يروم فهم الكون ومشكلاته فهما صحيحا (6).

لقد انبثقت فكرة "أفعال الكلام" من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة، مجال نشأة التداولية وتطورها، وهو أن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه (7).

أي أن استعمال لغة ما، أو التكلم بها يعني تحقيق أفعال لغوية، وبذلك تدول استعمال مصطلح الفعل الكلامي على ما في هذه التسمية من مجازفة من حيث ارتباط الكلام بالمظهر المادي الصوتي ومن ثم يوصي "جوليونز" (g. Lyons) بضرورة أن لا يغيب على البال أن فعل الكلام يشمل المنجز الكلامي والمنجز الكتابي (8).

وترسخ هذه الفكرة "تحليل اللغة والدلالة في تناول الذي يعنى بقول المتكلم، والذي يعتبر بمثابة عمل حقيقي يضاهاى الحدث المنجز بواسطة اليد على سبيل المثال"⁽⁹⁾. وهي بذلك تقطع مع الرؤية القديمة التي ترى أن اللغة أداة لوصف الواقع، كما تقطع من جهة أخرى مع اللسانيات الأولى السوسيرية والبنوية، حيث لا تأخذ بعين الاعتبار سوى قواعد اللغة الداخلية منفصلة عن الكلام الذي لا يعتبر سوى تم فصل... فتوجيه التحليل نحو الكلام ليست مجرد دراسة ل الكلام بالمصطلح السوسيري، ولكنها في الحقيقة دراسة للغة في كليتها بما فيها الكلام⁽¹⁰⁾، ولعل هذا ما تبرزه الفروقات القائمة بين كل من التداولية وبعض العلوم الأخرى كما : النحو والدلالة، من حيث اهتمامها بالشروط المحيطة واللازمة لإنجاز الموقف التواصلى للمتكلم، فالتداولية كما سبقت الإشارة، تعيد الاعتبار للمتكلم وللکلام، هذا الذي أقصي من قبل دوسوسير لصالح النظام، وتضع المبادئ الألسنية السوسيرية موضوع نقاش بنفياها أسبقية النظام والبنية على الاستعمال، وأولوية اللغة على الكلام والقدرة على الإنجاز⁽¹¹⁾.

وإذا ما عدنا إلى السؤال الأساسي في هذه الدراسة والمتمثل في:

ما الفعل الكلامي؟ فإن الأمر المتفق عليه أن هذه التسمية قد اقترحت في سنوات الستينيات من أوستين (Gohnaustin)، واستأنفت من طرف سيرل (John Seurle) قبل أن تكون مقبولة من طرف كل اللسانيين الذين يعتدون بالنظرية الملفوظية⁽¹²⁾. لقد أصبح الفعل الكلامي نواة جوهرية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية (locutoires actes) إلى تحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر، والوعد، والوعيد... وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا⁽¹³⁾ وهو أمر يرتبط بمدى نجاحه وعدم إخفاقه. وبالنظر إلى التطورات التي عرفتها نظرية الأفعال الكلامية، سنحاول استجلاء أهم ملامحها من خلال الوقوف على جهود كل من "أوستين" المنظر الأول لهذه الظاهرة و تلميذه "جون سيرل" الذي سعى إلى إكسابها ضبطا منهجيا و تدارك بعض الهفوات التي غفل عنها أستاذه.

2- الطرح الأوستيني / الجهود التأسيسية:

برزت تصورات أوستين للفعل الكلامي من خلال محاضراته التي ألقاها في جامعة أكسفورد ما بين (1952 - 1954) وتلك التي ألقاها في هارفارد عام 1955 واختار لها جامعا (ERMISSEON) عام 1960 عنوانا مميزا هو: كيف نصنع الأشياء بالكلمات ؟ (How to do things with words) (14)

ومما ورد في كتاب "أوستين" أنه ساوى بين بنية اللغة وبنية الفكر، وجعلهما شيئا واحدا، واللغة في مفهومها تتجاوز وظيفة الاتصال إلى وظيفة التأثير وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية (15).

فالكلام هو تبادل للمعلومات، ولكنه أيضا تحقيق لأفعال مسيرة وفق مجموعة من القواعد، من شأنها تغيير وضعية المتلقي وتغيير منظومة معتقداته، أو وضعه السلوكي (16)

لقد أنكر "أوستين" أن تكون الوظيفة الأساسية للغة هي الإخبار أي " وصف حال الوقائع ووصفا، إما أن يكون صادقا أو كاذبا وأطلق عليه المغالطة الوصفية " (17) حيث رأى أن هناك نوعا آخر من العبارات الوظيفية في تركيبها، لم يصف وقائع العالم، ولا يمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب: كأن يقول رجل مسلم لامرأته: أنت طالق، أو يقول: أوصي بنصف مالي لمرضى السرطان، أو يقول وقد بشر بغلام: سميته يحي، فهذه العبارات وأمثالها لا تصف شيئا من وقائع العالم الخارجي، ولا توصف بالصدق أو الكذب، بل إنك إذا نطقت بواحدة منها أو مثلها لا تنشئ قولاً، بل تؤدي فعلاً، فهي أفعال الكلام، أو هي أفعال كلامية (18).

لقد انطلق "أوستين" من مبدأ معارضة أطروحة فلاسفة اللغة الوضعيين أو ما أسماه " بالمغالطة الوصفية"، التي ضيقت في رأيه - المجالات الواسعة للغة، وسجنتها في مجال الوصف، حيث ميزوا بين الجمل الخبرية الوصفية التي تخضع لمعيار الصدق والكذب، وفقا لمراقبتها أو مخالفتها للوقائع الخارجي، وهي الجمل الأساسية التي تستحق الدراسة والتحليل، في مقابل الجمل غير الوصفية (الإنشائية أو الذاتية) وهي الجمل الهامشية التي تعد من قبيل الجمل التي لا معنى لها، لأنها لا تطابق واقعا خارجيا أو تطابقه (19).

استنادا إلى هذا التصور الجديد، اقترح أوستين نموذجا ثنائي التركيب مكونا من الأفعال الإخبارية (التقريرية) (constratifs) و الأفعال الإنجازية (performatifs)⁽²⁰⁾، فالزمرة الأولى من الأفعال الإخبارية وصفية تقريرية، تخضع لمعيار الصدق والكذب، أما الزمرة الثانية، فهي أفعال أدائية إنجازية لا تخضع لمعيار الصدق والكذب، ولكن يمكن أن توصف بأنها موفقة أو غير موفقة: كالتسمية والاعتذار، الوصية، النصح، الوعد... كقول أحدهم: أعدكم بزيارة الشهر المقبل.

ولابد أن تحقق الأفعال الإنجازية جملة من الشروط حتى تكون موفقة، وزعها أوستين على نوعين:

1- الشروط التكوينية / الملائمة ويمكن تلخيصها في الآتي⁽²¹⁾:

* وجود إجراء عرفي مقبول اجتماعيا كالزواج والطلاق.

* تضمن الإجراء نطقا لكلمات معينة من طرف أشخاص معينين في ظروف معينة.

* أن يكون الشخص المنجز مؤهلا لإنجاز الفعل، وأن يكون تنفيذه صحيحا وكاملا، ففي جملة إنني أتبرع بأموالي للمحتاجين، لا يمكن أن يتبرع من لا أملك له ولا مال. أما الشروط القياسية: فليست ضرورية لأداء الفعل، بل مكمل له لتحقيق صورته المثالية الخالية من العيوب والإساءات وهي⁽²²⁾:

* أن يكون المشارك في الفعل صادقا في أفكاره ومشاعره ونواياه ليؤدي فعله بطريقة مرضية وناجحة ففي الجملة السالفة (أعدكم بزيارة الشهر المقبل، قد لا يكون لمنفذ الفعل (من وعد بالزيارة) نية الوفاء بوعده، ومع ذلك، فإن فعل الوعد أنجز من طرف المتكلم وإن كان الإنجاز قد تم بصورة لا ترضي المخاطبين الذين وعدوا بهذه الزيارة.

* أن يلتزم بما يلزم نفسه به، أي التزام القائل بما يقوله فعلا.

وبعد أن محص أوستين ما وضع من معايير وشروط للتمييز بين الأفعال الأدائية والإخبارية، فقد ظل يعيد النظر في تقسيماته إلى أن تبين له في نهاية الأمر أنه من الصعوبة بمكان إقامة حدود بين هذين النوعين من الأفعال، فصرف اهتمامه عن التمييز بين القول والفعل معتبرا الوحدات الكلامية الخبرية ضربا من ضروب الوحدات الكلامية الإنشائية، ومن ثمة تكون المقابلة بين القول المحض والقول الفعل غير صحيحة، إذ لا يمكن

أن نميز بين ما هو وصف وما هو إنجاز، لأن جميع الجمل اللغوية قول وفعل في الوقت نفسه، وبالتالي يمكن توحيدها أو اختزالها في صنف واحد مستدلا على ذلك بأن الجمل المصنفة على أساس أنها وصفية، هي في الواقع جمل إنجازية، يقوم فيها المتخاطبون بفعل شيء زيادة على فعل التلطف أو القول (23).

هكذا وحد أوستين كل الجمل اللغوية في مصطلح واحد هو مصطلح الفعل اللغوي "، الذي يمثل مرحلة فكرية أوستينية، هي مرحلة نظرية الأفعال اللغوية، استكنه فيها أوستين استكناها مفهوم الفعل اللغوي الذي يقصده بالقول " حين أتلفظ أو أقول كلاما ما فأنا أحقق أو أنجز حقيقة فعلا ما " (24).

وبما أن المتلفظ لأي جملة في أية لغة طبيعية ينجز غالبا ثلاثة أعمال تعتبر جوانب مختلفة لعمل خطابي واحد فقد عدل أوستين رؤيته السابقة للفعل الكلامي (الإخباري، الأدائي) وقسمه إلى ثلاثة أفعال فرعية هي: (25)

* فعل القول / التلطف (acte locutoire): ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة.

* الفعل المتضمن في القول (Acte perlocutoire): وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ إنه عمل ينجز بقول ما، وهذا الصنف هو المقصود من النظرية برمتها، ولذا اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية الثانوية خلف هذه الأفعال بالقوة الإنجازية.

* الفعل الناتج عن القول (acte perlocutoire) أو الفعل التأثيري وهو التسبب في نشوء آثار في المشاعر والأفكار ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع والتضليل، والإرشاد والتثبيط.

تتكون إذا بنية الفعل الكلامي لدى أوستين من هذه الجوانب المذكورة (الفعل اللفظي، الإنجازي، التأثيري)، وهي جوانب لا يمكن فصلها عن بعضها بعض إلا بهدف الدراسة، فإذا كان الفعل الإنجازي هو قطب نظرية الفعل الكلامي والفعل اللفظي ضروري لانعقاد الكلام، فإن الفعل التأثيري لا يلزم كل الأفعال، لأن منها ما لا تأثير له على السامع ويمكن أن نستشف مما أورده "أوستين" عن التأثير بالقول، أنه يقع من ناحية التقبل، ولذلك يعسر على الباحث التحكم فيه، فهو يقع في مجال التأويل الذي يقوم به المتقبل وحسب الأمثلة التي قدمها أوستين، فهو يتعلق أساسا بالتأثيرات الانفعالية أو غير المباشرة والتي لم يقصدها

الباث، وهكذا، فإن فعل شد الأزر هو تأثير بالقول، بما أنه ليس محسوبا على مواصفات دقيقة ولا يمكن أن ينجز بالنية فحسب، وحده المتقبل يقدر على التصريح بأنه تم شد أزره، أو لم يتم ذلك، ولا يكفي أن أقول أشد أزرك، حتى يتحقق شد الأزر، في حين يكفي أن أقول أعد حتى يتحقق الوعد، ومن هنا اهتم أوستين كل الاهتمام بالفعل الإنجازي وهو في تصويره لا يكون إلا لغويا، بينما فعل التأثير، قد تعوزه هذه السمة، فيكون غير لغوي كأن يكون مجرد إشارة باليد أو الرأس أو العين أو غيرها..

ومما سبق ذكره وجه أوستين نظره إلى الفعل الإنجازي صلب العملية اللسانية كلها، وبحث عن أصناف تتفرع عنه في ضوء قياس القوة الإنجازية للفعل المؤدي (la force illocutoire) وقد ميز بين خمسة أنواع للأفعال الكلامية: (26)

* الأفعال الحكيمة (الإقرارية): verdictifs وتقوم باطلاق أحكام ذات قيمة أو حدث ما مثل: حكم، وعد، وصف، قد يكون الحكم نهائيا أو مرحليا، وقد تكون نافذة أو غير نافذة، وقد تكون تقديرية أو ضمنية..

* الأفعال (التمرسية) exersitifs وهي أفعال لها القدرة على فرض واقع جديد كالعزل، التعيين، الطرد، أي إصدار قرار لصالح أو ضد.

* أفعال التكليف (الوعدية) commissifs وتلزم المتكلم القيام بعمل معترف به من طرف المخاطب كوعد، تمنى، التزم بعقد، أقسم.

* الأفعال العرضية (التعبيرية) ex positifs عرض مفاهيم منفصلة (أكد، أنكر، أجاب، وهب، استتب، أثبت...)

* أفعال السلوكيات (الإخبارية) comportementaux: ردود أفعال تعبير اتجاه السلوك: اعتذر، هنا، حي، رجب، شكر.

ويلاحظ أوستين أنه توجد ثلاثة خصائص للفعل الكلامي الكامل هي (27):

* أنه فعل دال.

* أنه فعل إنجازي أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات.

* أنه فعل تأثيري أي يترك أثارا معينة في الواقع خصوصا إذا كان فعلا ناجحا.

3- تصورات سيرل / تبلور نظرية أفعال الكلام

انطلق " جون سيرل " في تطويره لنظرية أفعال الكلام من تراث أساتذة "أوستين" الذي كان له سبق في إرساء معالم هذه النظرية حيث أضاف إليها بعض الاقتراحات الجديدة التي مست شروط إنجاز الفعل اللغوي، وتحليله وتصنيف أفعال اللغة " (28) منطلقا من فرضية استمدها من أطروحة أستاذه: بأن القول هو الع " parler c'est agir " فالقول في نظره شكل من أشكال السلوك الاجتماعي، يخضع لجملة من القواعد، يحقق بها الأفراد أفعالا لغوية مختلفة، كفعل الإثبات والأمر، والاستفهام والوعد وغيرها (29).

وبهذا يعتبر "سيرل" أول من أوضح فكرة "أفعال الكلام" لدى "أوستين" وشرحها أكثر بتقديمه شروط إنجاز كل فعل إلى جانب بيان شروط تحول فعل من حال إلى حال أخرى وآليات ذلك وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود (30). وهي الشروط التي انطلق منها كثير من التداولين واختلفوا حولها بين مؤيد ومعارض.

إن قول من في المكتب: تركت الباب مفتوحا (لمن يدخل) يخضع إلى جملة خطوات لإدراك الفعل المقصود إنجازه منها (31).

* إن الضحيج في الرواق ولا ينبغي ترك الباب مفتوحا ← فهو يأمرني بإغلاقه.

* المكتب مكيف، ولا ينبغي ترك الباب مفتوحا ← فهو يطلب مني (بشكل ما) إغلاقه.

* من الأدب أن تغلق الباب، كما وجدته مغلقا، حال دخولك ← فهو يعاتبني على سوء سلوكي.

* يؤكد سيرل على أن عملية الإنتاج اللغوي تتم في ظل توفر جملة من القواعد، وهي قواعد عرفية ذات طبيعة تبليغية (اجتماعية - ثقافية - ويميز بين (32).

* القواعد التأسيسية (Régles constitutives) وهي القواعد التي تحدد معايير اللعبة (التتس، أو الشطرنج مثلا) التي تصنع الفعل نفسه وأي خلل فيها يعرضه للفشل.

* القواعد الضابطة (Régles régulatives) وهي القواعد التي تشكل أدبيات الفعل اللغوي، حيث تنظم العلاقات بين الأشخاص وتحدد بعض السلوكيات التي يمكن دون أن يفشل الفعل اللغوي.

* كما قام سيرل بتطوير شروط الموافمة وإعادة صياغتها واختزالها في أربعة شروط يتم بمقتضاها إنجاز الفعل اللغوي. وهذه الشروط هي (33).

* شروط المحتوى القسوى *Contentue Propositionnelle* وهو الذي يقتضي أن يكون للكلام معنى قسوى يقوم على مرجع ومتحدث به (خبر).
والمحتوى القسوى هو المعنى الحرفي الأصلي للجملة (كفعل الوعد *L'acte de (promesse)*).

* الشرط التمهيدي (*Préparatoire*): يتحقق هذا الشرط إذا كان المخاطب قادرا على إنجاز الفعل والمتكلم على يقين القدرة.

* شرط الإخلاص: (*Sincertive*) ويتحقق حين يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل فلا يقول غير ما يقصد، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع.

* الشرط الأساسي (*Essentielle*) يقوم على محاولة المتكلم إنجاز فعل التأثير في السامع للقيام بالفعل وإنجازه فعلا.

فلو طبقنا هذه القواعد على فعل الشكر لكانت على الشكل الآتي:

أ- المحتوى القسوى الطرف "س" قدم خدمة للطرف "ص" بواسطة العمل "ج" (34)..

ب- قاعدة التقديم: العمل "ج" قد أفاد "ص" فعلا.

ج- قاعدة الإخلاص: الطرف ص اعترف بالجميل الذي قدمه له "س" وقدره حق قدره.

د- القاعدة الأساسية: الطرف "ص" عبر عن امتنانه للطرف «س».

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الشروط محكومة بشرط أساسي هو توافر الظروف العادية لسلامة مجرى الكلام ابتداء من المتكلم ووصولاً إلى المخاطب ومرورا بقناة التواصل بينهما، ومن بين ما يفرضه هذا الشرط: أن يكون المتحاوران على علم باللغة التي يتخاطبان بها، وأن يكونا مدركين لما يفعلانه و يقولانه، و أن لا يحول عائق مادي دون تحقيق التواصل بينهما بالشكل المطلوب، و أن لا يكونا بصدد تمثيل أدوار في مسرحية أو حكاية قصص مشتركة بينهما. (35)

أما فيما يخص التعديلات التي أدخلها "سيرل" على نموذج "أوستين"، فتكمن في تمييزه بين أربعة أقسام تمثل ما ينجزه الفعل اللغوي في الوقت نفسه وهي: (36)

* فعل التلفظ Acte propositionnel و يضم كل من الفعلين الصوتي و التركيبي عند "أوستين".

* الفعل القضوي (Acte propositionnel): و هو يعادل الفعل الدلالي الذي كان جزءا من فعل القول في تصور "أوستين"، إلا أنه عند "سورل" يشكل فعلا مستقلا عنه، و يتكون من شقين:

أ- فعل الإحالة (Acte de Référence) و يسمح بربط الصلة بين المتخاطبين بين المتكلم س و مستمعه ص كما في جملة: أعلمك بأني مسافر اليوم.

ب- فعل الحمل (Acte de prédication): و هو الإسناد بالمصطلح القديم

* فعل الإنجاز (Acte illocutionnaire): و هو الفعل الذي يحقق القصد، المعبر عنه في القول، و هو هنا لا يختلف كثيرا عن تصور "أوستين"، إذ قد يكون نصيحة، أو تحذيرا أو تهديدا...

* فعل التأثير (Acte perlocutionnaire): وهو تماما كما طرحه "أوستين"، يهتم بالتأثيرات و النتائج التي يحدثها الفعل الإنجازي بالنسبة إلى المخاطبين

يبرز هذا التقسيم تشابهه طرحي كل من "سيرل" و "أوستين" بشأن الفعلين الإنجازي و التأثيري، ومن جهة أخرى يكشف عن اختلاف نظرتيها إلى الفعل الدلالي، فإذا كان "أوستين" يرى أنه لا يتجاوز عملية إعطاء دلالات للكلمات المستعملة في الجملة، فإن "سيرل" يوليه اهتماما كبيرا و يسميه الفعل القضوي و يمتاز باستقلالته و تشعب قضاياها. وفي مثل هذا التقسيم، ينطلق "سورل" من مبدأ فلسفي لغوي يعني إنجاز -وفي الوقت نفسه- أربعة أفعال (فعل القول و الإسناد و الإنشاء و التأثير) ومن ثم، فإن الأفعال المباشرة عند "سيرل" هي: تلك الأقوال التي ينبغي أن ((تتوفر على تطابق تام بين معنى الجملة و معنى القول))،⁽³⁷⁾ أي تحقق المطابقة بين المعنى القولوي و المعنى الغرضي أما الأفعال غير المباشرة التي يخالف فيها مراد المتكلم مقتضى الحال، فهي تدفع المستمع إلى ((الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الذي يسنده المتكلم إلى قوله))⁽³⁸⁾

وعند تحليله للفعل المباشر أدخل "سيرل" الإلماع و التلميح و المفارقة و الاستعارة..وغيرها من العناصر وفي إطار هذه الجهود قدم اقتراحا تصنيفيا، يقوم على أسس منهجية، لكنه يفيد من تقسيم أوستين السابق للأفعال الإنجازية بالنظر إلى الأسس الآتية:(39)

- الغرض الإنجازي

- اتجاه المطابقة

- شرط الإخلاص

و يمكن إيجاز تصنيفات "سيرل" في:(40)

- **الإخباريات:** و يطلق عليها التأكيدات، أو الأفعال الحكمية، و يكون اتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم.

- **التوجيهات:** أو الأوامر، تحمل المخاطب على قول شيء معين واتجاه المطابقة فيها يكون من العالم إلى الكلمات، و شرط الإخلاص يتمثل في الرغبة الخالصة و الإرادة الحقيقية (أمر، نصح، استعطف، الطلب بأنواعه..)

- **الالتزاميات:** وهي أفعال التعهد (التكاليف عند أوستين) حين يلتزم المتكلم بفعل شيء في المستقبل و اتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات.

-**التعبيريات:** و غرضها التعبير عن الموقف النفسي، يتوفر فيها شرط الإخلاص، و ليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، و ينطوي تحته الشعر و التهنة، الموساة والاعتذار..

- **إعلانيات:** أو الإنجازيات و تكون حين التلفظ ذاته و أهم ما يميزها مطابقة محتواها القضي للعالم الخارجي

وجدير بالذكر أن تصنيفات "سيرل" لاقت انتقادات أبرزها تلك التي قدمها الباحثان ريكاناتيوندرلايش، فقد ذهب إلى: أن أفعال الوعد يتعين عدها مجرد استجابات لأفعال التوجيه، فهي في اعتقادها ليست نمطا كليا لأفعال الكلام، إلى جانب قصور هذه التقسيمات وعدم شموليتها وافتقارها لبعض الأفعال من قبيل:الدعاء والتضرع والنداء والتحذير..وغيرها.

4 الفعل الكلامي لدى باحثين آخرين:

هكذا استفاد سيرل من تراث أستاذه " أوستين" و سعى إلى ضبطه و منهجته و تعديل بعض جوانبه و بالتركيز على الأفعال الإنجازية التي اعتبرها "سيرل" محور نظرية أفعال الكلام، و قاده اهتمامه بالفعل الإنجازي إلى اعتبار دلالة الجملة هي الصورة الجامعة بين محتواها القضيوي (الإحالة و الحمل) و قوتها الإنجازية.

لكن نظرية الأفعال الكلامية، لم تقف عند حدود المحتوى القضيوي (المعنى الحرفي) للجملة و القوة الإنجازية الملازمة للتلفظ، بل تجاوزتهما إلى مسألة على قدر كبير من الأهمية، تتمثل في ظاهرة الاستلزام الحواري

(Limplic action conversationnelle) التي أطلقها غرايس 1975 (Grice) و كان

لها صدى لدى فلاسفة اللغة، وفي نظرية النحو الوظيفي

وفحوى تصور غرايس (أن جمل اللغات الطبيعية، يمكن في بعض المقامات أن تدل على معنى غير المعنى الذي نستخلصه من محتواها القضيوي (أو معناها العرفي)، و بعبارة أخرى يمكن القول أننا في بعض المقامات أن نستطيع ننجز فعلين لغويين اثنين: فعل لغوي مباشر، و فعل لغوي غير مباشر. (41)

تفرض مسألة الاستلزام الحواري التمييز بين القوة الإنجازية الحرفية و القوة الإنجازية المستلزمة، فالأولى تستخلص من الخصائص البنائية للمقال (صيغة الفعل الإنجازية الأدوات و القرائن التنغيم..) و تدرك الأخرى من السياق بوجهه عام.

أما عن كيفية الانتقال من الفعل اللغوي المباشر إلى الفعل اللغوي غير المباشر فقد قدم "غرايس تصورا يركز على أربعة أسس يحكمها مبدأ عام سماه مبدأ التعاون، ينهض على أربع مسلمات هي: (42)

1- مسلمة القدر: (Quantité): تخص قدر (كمية) الإخبار الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية

2- مسلمة الكيف: (Qualité): و نصها لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، و لا تقل مالا تستطيع البرهنة على صدقه.

3- مسلمة الملاءمة: (Pertinence): وهي عبارة عن قاعدة واحدة، لتكن مشاركتك ملائمة.

- 4- مسلمة الجهة: (modalité): و تنص على الوضوح في الكلام وبعد تقنيته للحوار اللغوي، خصص إلى أن الاستلزام الحواري هو ظاهرة تتم عندما يخرق أحد المساهمين قاعدة من القواعد الأربعة مع الاحتفاظ بمبدأ التعاون، ومن ثمة، فإن ظاهرة استلزام جملة ما لمعنى مقامي مغاير لمعناها الحرفي لا يتم إلا وفق الشروط الآتية: (43)
- 1- لا بد من احترام مبدأ التعاون بين المخاطبين.
 - 2- لا بد من افتراض أن الشخص المخاطب يدرك المعنى المستلزم.
 - 3- لا بد من يكون المخاطب قادرا على الاستنتاج والإدراك انطلاقا من الافتراض القائم على قاعدة الورد.
 - 4- لا بد من مراعاة السياق اللغوي وغير اللغوي للخطاب.
 - 5- لا بد من مراعاة الخلفية المعرفية بين المتخاطبين.
 - 6- لا بد من أن يراعي المتكلم المعنى العرفي، وعرف العبارات الإحالية.
- إضافة إلى جهود كل من أوستين وسورلوفغرايس اهتم بفكرة أفعال الكلام تداوليون آخرون، عالجوا بعض جوانبها كالتطرق ل : القوة المتضمنة في الفعل، الشروط الإنجازية..وما إليه من القضايا ويمكن الإشارة إلى أوزوالديكرو (o.ducrot) الذي قام بإعادة تعديل شروط الإنجازية، وذهب إلى " أن الإنجازية تشمل بالإضافة إلى ما حدد سالفنا في النظرية الأوستية، الافتراض الذي هو وسيلة مقدمة من طرف اللغة للإجابة عن متطلبات التضمن، ويكون الافتراض شرطا في الفعل الإنشائي حتى لا تكون هناك خيبة أمل... " (44)
- وعن شروط الإنجازية يقول: تكون جملة ما إنجازية إذا أمكن بعض من ملفوظاتها أن يكون كذلك، ويكون فعل ما إنجازيا إذا أمكنه صياغة الفعل المحوري لجملة إنجازية " (45)
- وقد أسهم (ديكرو) من خلال كتبه الهامة في المجال التداولي في تطوير تداولية موسعة غالبا ما يشار إليها بوصفها تداولية مدمجة، تلتحق في مد وجزر بعلم الدلالة اللساني. (46)
- وبرز أيضا فرانسوا ريكاتي (f.récanati)، الذي اهتم بتطوير التداولية واتجهت تحليلاته في كتاباته الشفاهية والتلفظ تمهيدا للتداولية 1979 والملفوظات الإنشائية 1981، إلى: (47)
- تدبر تاريخ نظريات العلامة ومفهوم المفارقة

تحليل مركز لتصور الإنشائي في كتابيه وبخاصة (الكتاب الثاني).

ويمكن تلخيص التصنيف المقترح من طرف ريكانتي في الآتي:

توجد أفعال كلامية ممثلة بالأساس وأخرى غير ممثلة، فالأولى تعبر عن سلوك اجتماعي اتجاه المجتمع وهي بدورها تنقسم إلى : أفعال متحققة أو إنشائية وأخرى تقريرية، أما الفعل الإنشائي فإنه ينقسم لديه إلى: فعل الوعد والإعلان وفعل الأمر كما اقترح وندريش شروطا أخرى تؤسس تصنيفا جديدا وهي: (48)

1- اعتماد العلامات اللغوية لأفعال الكلام: مثل أدوات الاستفهام وصيغ الأمر .

2- اعتماد المحتوى والغاية الكلامية

3- اعتماد وظائف الأفعال في الكلام

4- اعتماد مصدر الأفعال، كأن تكون الأفعال أفعالا كلامية وطبيعية واجتماعية..

خاتمة:

تتبع هذا البحث نشأة نظرية أفعال الكلام في التداوليات الغربية المعاصرة، و اضطلع برصد أبرز المحاولات التي سعى من خلالها المؤسسون الأوائل إلى وضع تصنيفات مضبوطة لأفعال الكلام ويمكن لنا في هذه الخاتمة، عرض النقاط الآتية:

* تمتد نظرية أفعال الكلام بجذورها الأولى إلى فلسفة فريجه وفيتغشتاين التي تعرف بالفلسفة التحليلية ومؤداه: أن اللغة هي أساس فهم الوجود بل وأساس امتلاكه، وقد كان لفلسفة اللغة الذين جاءوا بعدهما أثر في تطوير الاتجاه التداولي، وبخاصة فلاسفة إكسفورد.

* يعتبر الفعل الإنجازي محور نظرية " أفعال الكلام " فإذا ما تكلمنا، فإننا ننجز تفاعلا اجتماعيا، أي فعلا أوسع من مجرد التكلم.

* تولي نظرية أفعال الكلام اهتماما كبيرا بالظروف المحيطة بإنجاز الفعل اللغوي، فهي تراعي: المخاطب، المتلقي، الإطار الزمكاني للخطاب... فغياب الشروط المقامية يجعل من التلطف الإنجازي غير موفق وهذا مالم تراعيه مناهج ونظريات سابقة لهذه النظرية.

* لم تقف جهود الباحثين التداوليين في الفعل الكلامي عند قضية المحتوى القضوي للجملة بل تعدوا ذلك إلى ما يعرف بالاستلزام الحواري أو الاستلزام التخاطبي التي أسس لها غرايس، وكان قد انتبه لها العلماء العرب من خلال ما ابتكروه من مصطلحات دالة على هذه الظاهرة كالمعنى المقامي، ومعنى المعنى، والأساليب البلاغية المستفادة من سياق الكلام ومن الحالة النفسية للمتكلم، وهي موضوعات لا يتسع لها مجال هذا البحث يولي الدرس التداولي الغربي اهتماما بمختلف الجوانب الدلالية والتداولية ذات الارتباطات الفلسفية وهو ما جعل بعض النقاد يعيبون عليها إهمالها لكثير من الجوانب اللسانية كالمستوى الصرفي والتركيبي...

الهوامش:

- 1- خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم) بيت الحكمة، للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 2009 ص 204.
- 2- مسعود صحراوي: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، التداوليات (علم استعمال اللغة)، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن ط1 2011 ص 33.45.
- 3- المرجع نفسه ص 36.
- 4- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي دار التنوير للنشر والتوزيع الجزائر ط1 2008 ص 39.
- 5- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر، محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (د.ط) 1986 ص 22.
- 6- ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ص 30.
- 7- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية ص 89.
- 8- نعمان بوقرة: الخطاب الأدبي ورهانات التأويل (قراءة نصية تداولية حجاجية) عالم الكتب الحديث الأردن ط1 2012 ص 93.
- 9- فيليب بلانشية: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر، صابر الحباشة دار الحوار، اللاذقية، دمشق، ط1 2007 ص 55.
- 10- ينظر المرجع نفسه ص 56.
- 11- ينظر فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، تر، سعيد علوش المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع ط1، 1987 ص 62.
- 12- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية ص 86، 87.
- 13- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ص 54، 55.
- 14- نعمان بوقرة: الخطاب الأدبي ورهانات التأويل ص 86، ص 87.
- 15- خليفة بوجادي: اللسانيات التداولية ص 53.
- 16- Voir C.k(orécchion): Enonciation de la Subjectivité dans langage . Ar mandcobin.Paris p: 185

- 17- الجيلالي دالاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية ص 22.
- 18- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص 43 19- يحي بعبطيش: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو (ضمن كتاب: التداوليات (علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، اريد، الأردن، ط 1، 2011، ص 91.
- 20- نوازي سعودي، تداولية الخطاب الأدبي (المبادئ والإجراء) دار الحكمة، الجزائر، ط 1، 2009، ص 28.
- 21- نعمان بوقرة: الخطاب الأدبي ورهانات التأويل ص 90.
- 22- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 23- يحي بعبطيش: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو (التداوليات " علم استعمال اللغة ") ص 94.
- 24- المرجع نفسه، ص 97.
- 25 (voir (j.l.Austin. quand dire c'est faire traduction cilles) lame,edition du seuil, paris,970 p 109,p103,p114.)
- 26- ينظر خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية ص 97.
- 27- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 59.
- 28- يحي بعبطيش: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو (التداوليات) ص 100.
- 29- المرجع نفسه، ص نفسها.
- 30- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 98.
- 31 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 32- يحي بعبطيش: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ص 101.
- 33- الجيلالي دالاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 25.
- 34- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 35- إدريس سرحان: التأويل الدلالي التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول، التداوليات (علم استعمال اللغة) ص 168.

- 36- يحي بعبطيش: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ص 102.
- 37- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 50.
- 38- الجيلالي دالاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 29.
- 39- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 49.
- وينظر المرجع نفسه ص 50، وينظر أيضا أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري) منشورات عكاظ، 1989، ص 21.
- 40-R.Searle: Les actes de langage collection savoir lettres
Herman.Paris 1996 p.62
- 41- يحي بعبطيش: الفعل اللغوي، بين الفلسفة والنحو، ص 107.
- 42- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ص 46، وينظر أيضا أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص 24.
- 43- يحي بعبطيش، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ص 108.
- 44- نعمان بوقرة: الخطاب الأدبي وهانات التأويل ص 97.
- 45- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص 100، ص 101.
- 46- فيليب بلانشية: التداولية ص 167.
- 47- المرجع نفس ص نفسها.
- 48- عمر بلخير: مقالات في التداولية والخطاب الأمل للطباعة والنشر (د.ط.)، (د.ت.)
ص 173